الرد على المتكلمين في بيان معنى التوحيد

"دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة"

أ/ نورة محمد مشبب الشهراني

باحثة دكتوراة تخصص عقيدة ودعوة، قسم الشريعة والدراسات الاسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

البريد الالكتروني: dnor6666@hotmail.com

الملخص:

هدف البحث عرض معنى التوحيد عند المتكلمين ونقد ذلك المعنى، وجاء مكوناً من إطار عام شمل المقدمة ومشكلة للبحث ثم أهمية البحث وأسباب اختياره، ثم عرض الدراسات السابقة، منهجه، بالإضافة لمبحثين، جاء المبحث الأول عن استدلال المتكلمين بأحاديث من الكتب التسعة على توحيد الله تعالى في ربوبيته (عرض ونقد) حيث تم عرض البحث استلالات المتكلمين على معنى التوحيد وتفسيراتهم له ثم جاء المبحث الثاني ينقد تلك الاستدلالات ويوضح معنى التوحيد الذي جاءت به النصوص ونزل به الوحي وبينه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر به الحق سبحانه الإنس والجن، ثم عرض المبحث لنقد أدلتهم تفصيلاً والرد عليها.

الكلمات المفتاحية: التوحيد، عقيدة المتكلمين، أهل السنة والجماعة، الكتب التسعة، علم الكلام.

المقدمة Introduction:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين، محمد بن عبد الله وعلى من سار على هديه واقتفى إلى يوم الدين أما بعد، فإن الله عز وجل قد اصطفى من كل خلف عدوله ليقيموا دينه، ويعلوا كلمته، ويبينوا للناس الحق الذي خلقوا لأجله، وهو توحيد رب العالمين، وإقامة الشرع الحكيم، وفارس هذا الميدان هم الصادقون الأتقياء في كل زمان، وغرة جبينهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التابعون وتابعوهم بإحسان، جمعوا بين حسن الإتباع وتمام التسليم، عظموا النصوص وآمنوا بقدسيتها وأنزلوها منزلها وعقلوا العقل بزمام الشريعة الغراء مستهدين بقوله تعالى: ٌّ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى نيهج هم هى هي يج يح يخ يم يى َّ[1] وقوله سبحانه وتعالى: ٌّ خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج َّ[2] فسلمت لهم العقيدة صافية نقية، لم يكدر صفوها شوائب الشرك والبدع، قد ملأت قلوبهم عظمة ٌّ ني

هج همهى هي يج يحً [3]لم يختلفوا في ربهم ولا في أسمائه وصفاته، وما غيروا وبدلوا، على ذلك عاشوا وعليه ماتوا، وصدق فيهم قول الحق تعالى: ٌ لخ لم لى لي مج مح مخ ممى مي نج نح نخ نم نى نيهج هم هى هيً [4] قال الطبري في تفسيرها :" لم يغيروا دينهم كما غيره المنافقون " [5]وثناء الله عز وجل على المتبعين دالٌ بدلالة اللزوم على ذم المحرفين المبدلين، وبأضدادها تُعرف الأشياء.

وفي أواخر عصر الصحابة رضي الله عنهم و أرضاهم بدأت جذور مسألة الكلام، فكان أول ما ظهر الكلام في القدر [6] مع موافقة المتكلمين لأهل السنة في أبواب العقيدة الأخرى، ثم توالت بعد ذلك مسائل العقيدة التي افترقت فيها الأمة مثل مسألة الإيمان والصفات, وظهر القول بخلق القرآن[7]، وأنكر الجعد بن درهم أن يكون الله عز وجل تكلم بالقرآن حقيقة.

وقد مر علم الكلام بمراحل عدة حتى استقر في عهد المأمون، وهو كما عرفه أهل الكلام" علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه"[8] ووسيلته الجدل وإفحام الخصم، وقد طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين انشرت أيام المأمون، فخلطت مناهجها بمناهج علم الكلام[9]، وأصبح علم الكلام فيما بعد هو الأصل في تقرير العقيدة عند المتكلمين.

وهكذا أعمل المتكلمون العقل وحكموه في النصوص، فما وافق عقولهم قبلوه، وما خالفها ردوه أو أولوه، وقد فتح ذلك باب شر على المسلمين؛ حيث أدى إلى تعطيل المعاني الصحيحة التي أرادها الله تعالى كما حمّل المتكلمون النصوص معانٍ بعيدة عن روح الشريعة الإسلامية ما أنزل الله بها من سلطان.

مشكلة البحث Research Problem :

لما كانت الغاية من علم الكلام إثبات العقائد بالطرقة العقلية فقد نزّل المتكلمون قواعدهم في علم الكلام على نصوص الكتاب والسنة لإثبات مسائل العقيدة الإسلامية أو نفيها؛ فجعلوا العقل أول أدلة إثبات العقيدة، حيث العقل قطعي الدلالة عندهم، في حين أن الكتاب والسنة ظنيا الدلالة ولا يكفيان في إثبات العقائد، كما لم يقبلوا حديث الآحاد في إثبات العقيدة، ووضع الرازي عشرة شروط للاستدلال بالأدلة السمعية[10]، وقرر في (أساس التقديس)أنه إذا تعارضت الأدلة العقلية والنقلية قدموا العقلية[11]، أما الدليل النقلي فإنه يؤول أو يفوض معناه، بل ذهب السنوسي أبعد من ذلك إذ قال ضمن تعداده لأصول الكفر: " والتمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين

العقلية والقواطع الشرعية"[١٢] وبذلك صار العقل هو الميزان الذي يعرف به الحق من الباطل، وتميز به السنة من البدعة، وعطلت كثير من معاني النصوص التي أرادها الله عز وجل من الكتاب والسنة إما بالتأويل أو بالتفويض، وأصبح كثير من المسلمين يتعبد الله تعالى بالعقيدة التي أقرها المتكلمون.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

يمكن إجمال أهمية البحث وأسباب اختياره في النقاط الآتية:

١- صلته الوثيقة بالله عز وجل؛ فإن أفضل العلم ما تعلق بالله تعالى وتوحيده وأسمائه وصفاته واستحقاقه العبادة دون سواه، وهو أفضل ما بذلت فيه الجهود والأعمار، ولما يترتب على الإخلال بهذا الأصل العظيم من فساد العقيدة والعبادة.

٢- لبيان فضل سنة النبي صلى الله عليه وسلم ومنزلتها في التشريع الإسلامي وضرورتها لفهم كتاب الله تعالى في زمن يحاول فيه أعداء الحق التهوين من شأنها، والتشكيك في عدالة رواها، وتقديم العقل وآراء الرجال على قول صاحبها صلى الله عليه وسلم من أجل خلخلة الثقة في حجيتها.

٣- لبيان منهج النبي صلى الله عليه وسلم في تقرير العقيدة في الله عز وجل وأسمائه وصفاته على الوجه اللائق بعظمته وجلاله؛ فقد وقف عليه الصلاة والسلام في الناس يعرفهم ربهم بعدما علمهم أنه سبحانه ﴿ نى هج همهى هي يج يح ﴾[١٣]ففي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول: "يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيديه" وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وجعل يقبضهما ويبسطهما، قال: ثم يقول: ((أنا الرحمن أنا الملك، أين الجبارون، أين المتكبرون))و تمايل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول:" أساقطٌ هو برسول الله !! "[١٤] والحديث إثبات لصفات الله تعالى على لسان المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وهو رد على مزاعم المتكلمين المكذوبة القائمة على نفي الصفات وتأويلها أو تفويض معناها.

٤ -التأكيد على اعتبار فهم السلف الصالح للنصوص وأنه الوسيلة الشرعية لفهم المعاني التي أرادها الحق سبحانه من الوحيين؛ بدليل أن الله عز وجل رتب رضاه على إتباعهم فقال تعالى: ﴿ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يحيخ يم يى يي ﴾[١٥]فإتباع السلف الصالح في الإيمان بالله ورسوله وفهم دينه سبب لرضى الحق

سبحانه،"[١٦] "وما اختلاف المتكلمين وتناقضهم في عقائدهم إلا نتيجة إعراضهم عن منهج السلف الصالح في فهم النصوص، وصدق الله القائل سبحانه : ﴿ بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ﴾[١٧]

٥- لبيان خطر علم الكلام على العقيدة؛ حيث أعمل المتكلمون التأويل في غير بابه؛ فأولوا نصوص الصفات لتتوافق مع المعقول ظنا منهم أن ظاهرها غير مراد ،فنفوا بذلك المعاني الصحيحة التي أرادها الله عز وجل وأقحموا معان باطلة ليست من التوحيد في شيء.

٦- لبيان خطر الاعتداد بالعقل وإعماله في الغيبيات سيما في نصوص الصفات المتعلقة بذات الحق سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته، وأنه سبب للزيغ عن الطريق المستقيم، يقول الحق سبحانه محذرا من مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما ﴾[١٨] قال الضحاك في تفسيرها: " أن يطبع الله على قلبه، فلا يأمن أن يظهر الكفر بلسانه"[١٩] وليس بعد الزيغ عن طريق الحق عقوبة.

٧- بيان أن التسليم للنصوص ووضع العقل في مكانه الذي خُلق له من أسباب استقامة العقيدة وسلامة المنهج والفلاح في الدنيا وفي الآخرة، وأن تقديم العقل وآراء الرجال على قول الله عز وجل وقول رسوله صلى الله عله وسلم سبب للضلال والخذلان.

٨- لبيان أن استدلالات المتكلمين على عقائدهم بسنة النبي صلى الله عليه وسلم إنما يراد منها إضفاء الشرعية والقدسية على عقائد باطلة لم يردها الحق سبحانه.

٩- الرد على من زعم أن عقائد المتكلمين المنتشرة اليوم بين المسلمين هي عقيدة النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح، وذلك من خلال تناول استدلالات المتكلمين بأحاديث الكتب التسعة على مسائل الإيمان المتعلقة بربوبية الله تعالى وصفاته ومناقشتها في ضوء الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة لبيان بطلان استدلالهم بالحق على عقائدهم الباطلة.

١٠ - اطلاعي على رسالة دكتوراه الإبراهيم الديبو بعنوان "أصول مسائل العقيدة عند المتكلمين في ضوء كتب الحديث التسعة" انتصر فيها الباحث للمذهب الأشعري، واستدل بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم على عقائد المتكلمين فكان لابد من الرد والبيان وتناول استدلالاتهم من كتبهم ومناقشتها من منظور سلفي وإبراز مخالفتها للكتاب والسنة, فكانت هذه الرسالة من الأسباب التي دفعتني لكتابة هذا البحث نصرة لدين الله تعالى ومعذرة إلى ربنا تعالى لئلا يُستدل بالحق على الباطل.

الدراسات السابقة Literature Review:

بعد التتبع والبحث لم أقف على رسالة علمية تناولت استدلال المتكلمين على عقائدهم بأحاديث الكتب التسعة من منظور سلفي، لكن هناك العديد من الرسائل العلمية التي تناولت موضوع المتكلمين بالبحث؛ منها ما تناول التعريف بهم ومنها ما تناول عقائدهم ومنها ما خص منهجهم في الاستدلال بالدراسة، ووقفت بحمد الله على دراستين أحسبهما أقرب الدراسات لموضوع البحث وهما:

١-موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرض ونقد، إعداد سليمان صالح عبدا لعزيز الغصن وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤١٦هـ) تضمنت بيان موقف المتكلمين من الاستدلال بالسنة؛ المتواتر منها والآحاد، وساق الباحث استدلال المتكلمين بنصوص من الكتاب والسنة على عشر صفات من صفات الحق سبحانه وهي: (العلو ولاستواء والنزول والإتيان والضحك والغضب والوجه والعين واليدين والقدم) وفي باب الإيمان اكتفى بالاستدلال على مسألة مسمى الإيمان وتفاضله وحكم مرتكب الكبيرة، وفي باب القدر تناول مسألة الكسب وإجبار العبد على فعله، والرسالة نافعة في بابها، لكنها لم تستوف جميع الصفات ولم تستكمل مسائل الإيمان، ولم تُخصص أحاديث الكتب التسعة بالاستدلال.

٢-أصول مسائل العقيدة عند المتكلمين في ضوء الكتب التسعة، إعداد إبراهيم الديبو، وهي رسالة مقدمة لنيل رسالة الدكتورة (١٤٣٥هـ) وفيها عرض الباحث عقائد المتكلمين كوجود الله, ووحدانيته وأسمائه وصفاته الذاتية والصفات السبع، والقول بخلق القرآن، وتأويل الصفات الخبرية والتي قسمها لثلاثة أقسام: صفات توهم التجسيم وصفات توهم الحركة والانتقال، وصفات توهم التغيرات النفسية.

وقارئ البحث لا يجد الاستدلال الصحيح بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولا موافقة الصحابة رضي الله عنهم والسلف في التسليم للمعنى المراد منها، فالباحث يعرض المسألة ويذكر أقوال المتكلمين فيها ويستدل بالعقل والنقل على بعض العقائد و بالعقل وحده على عقائد أخرى، ويسوق تأويل المتكلمين للأحاديث المستدل بها في المسألة ثم يقررها كما يراها المتكلمون، والباحث متأثر بمنهج المتكلمين عموما وبالمذهب الأشعري على وجه الخصوص، ودراسته هذه وإن شاركتْ موضوع الدراسة مادته (أحاديث الكتب التسعة) إلا أن تناولها للحديث كان محكوما بقواعد علم الكلام خاضعا للعقل وأوهامه، وأما هذا البحث فسيدرس أحاديث الكتب التسعة التي استدل به المتكلمون على عقائدهم في ضوء الكتاب

والسنة و بفهم سلف الأمة وذلك لبيان فساد استدلالات المتكلمين بهذه الأحاديث على عقائدهم و للرد عليهم.

منهج البحث Research Methodology:

يمكن تحديد منهج البحث في النقاط التالية :

١- تتطلب طبيعة البحث إتباع المناهج التالية: (الاستقرائي - التحليلي- النقدي) وذلك لاستقراء استدلالات المتكلمين على عقائدهم بأحاديث الكتب التسعة، و لمناقشة تلك الاستدلالات وتحليلها ونقدها في ضوء الكتاب والسنة ولبيان فساد تلك الاستدلالات على عقائدهم في باب الربوبية والأسماء والصفات.

٢-عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٣- تخريج الأحاديث النبوية، ونقل حكمها من كلام أهل العلم إن لم تكن في "الصحيحين" أو في أحدهما.

٤ -توثيق النقول من مصادرها بذكر اسم الكتاب و المؤلف ورقم الجزء الصفحة إن وجد.

٥- الترجمة للأعلام الذين سقتُ في البحث شيئا من استدلالاتهم بأحاديث الكتب التسعة على عقائد المتكلمين في باب الربوبية والأسماء والصفات.

٦- تذييل البحث بفهارس عامة لمحتوياته تشمل: فهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمراجع والمصادر وفهرس الموضوعات.

المبحث الأول: استدلال المتكلمين بأحاديث من الكتب التسعة على توحيد الله تعالى في ربوبيته (عرض ونقد)

أثبت المتكلمون وحدانية الله تعالى في الربوبية بدليل التمانع[٢٠] وخلاصة هذا الدليل أننا لو سلمنا -جدلا- بوجود إلهين - ولن يكون - لذهب كل إله بما خلق ولعَمَدَ كل منهما

لقهر الآخر ومغالبته ومخالفته، فإذا أراد أحدهما أمرا وأراد الآخر ضد ذلك الأمر فإما أن يتحقق مرادهما وهذا باطلٌ؛ لأنه جمعٌ بين الضدين، وإما ألا يتحقق كلا المرادين وهذا ممتنع؛ لأن الإله الحق لا يعجزه شيءٌ سبحانه وتعالى، وإما أن يتحقق مراد أحدهما دون الآخر فيُعلم أن الغالبَ هو الإله الحق، وأن الآخرَ عاجزٌ ، والعاجز لا يكون إلها البتة.

يقول أبو المعين النسفي: " إذا ثبت أن للعالم محدثا أحدثه وصانعا صنعه كان الصانع واحدا؛ إذ لو كان له صانعان لثبت بينهما تمانع، وذلك دليل حدوثهما أو حدوث أحدهما؛ فإن أحدهما لو أراد أن يخلق في شخص حياة، والآخر أراد أن يخلق فيه موتا، وكذا في جميع المتضادات كالحركة والسكون والاجتماع والافتراق والسواد والبياض وغير ذلك، إما أن يحصل مرادهما... وهو محال ،وإما إن تعطلت إرادتهما ولم تنفذ ولم يحصل في المحل لا هذا ولا ذاك وهو تعجيزهما، وإما إن نفذت إرادة أحدهما دون الآخر وفيه تعجيز من لم تنفذ إرادته، والعجزُ من أمارات الحدَث فإذا لم يُتَصَور إثبات صانعين قديمين للعالم فكان الصانع واحدا ضرورة " ٢١ وحَسِبَ المتكلمون أن قول الله تعالى :

ﱡ سح سخ سم صح صخ صم ضجضح ضخ ضم طح ظم عج عم غجﱠ ٢٢

يؤيد ما ذهبوا إليه فظنوا أن الآية الكريمة تؤكد صحة استدلالهم بدليل التمانع على إثبات الربوبية لله تعالى وحده، ولذا فسروا الفساد في الآية الآنفة بالفساد الحسى وهو اختلال نظام الكون وانفراط عقده ٢٣

أما جمهور أهل السنة والجماعة فيفسرون آية الأنبياء بتوحيد الألوهية المستلزم للربوبية؛ قال ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيرها :" يقول الله تعالى: لو كان في السموات والأرض آلهة تُعبد مع الله لفسدت السموات والأرض. وعدمُ فسادهما واتساقُ خلقهما وانتظامُهما دليلٌ على أنه لا يوجد فيهما معبودٌ بحق إلا هو سبحانه "٢٤ ويقول ابن الجوزي في زاد المسير "لو كان فيهما–يعني السماء والأرض– (آلهة) يعني: معبودِين (إلا الله) سوى الله (لفسدتا) أي لخربتا وبطلتا وهلك من فيهما.." [٢٥] وقال المتكلمون إن قول الله تعالى ﱡ

مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى نيهج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ ٢٦ سِيق لتقرر توحيد الربوبية، والصواب أن هذه الآية أيضا جاءت لتقرير توحيد العبادة لله وحده؛ يقول ابن الطبري في تفسيرها: "ما لله من ولد، ولا كان معه في القديم، ولا حين ابتدع الأشياء مَنْ تصلح عبادته، ولو كان معه في القديم أو عند خلقه الأشياء مَن تصلح عبادته (إِذًا لَذَهَبَ) إذن لاعتزل كل إله منهم (بِمَا خَلَقَ) من شيء فانفرد به، ولتغالبوا، فَلَعَلاَ بعضهم على بعض، وغلب القويُّ منهم الضعيفَ؛ لأن القويّ لا يرضى أن يعلوه

ضعيفٌ، والضعيفُ لا يصلح أن يكون إلها، فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها لمن عقل وتدبر، وقوله: (إِذًا لَذَهَبَ) جواب لمحذوف، وهو: لو كان معه إله، إذن لذهب كل إله بما خلق، اجتزئ بدلالة ما ذُكر عنه "[٢٧]. فالآية دالة على أن الإله الحق واحد لا يتعدد، وهو الله الحق سبحانه المستحق للعبادة دون سواه، وهذا التفرد الإلهي باستحقاق العبادة هو سبب انتظام الخلق وسيره في دقة متناهية دون اضطراب أو خلل، وصدق تعالى القائل: ٌّ قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم لهمج مح مخ مم نجَّ [٢٨] ولو وجد إلهان لاضطرب الكون وفسد أمر السموات والأرض، ولأصبح الكون فوضى عارمة، فلما كان الله تعالى وحده هو الإله المستحق للعبادة، انتظم بذلك أمر السموات والأرض، وهذا ما لا يثبته دليل التمانع، فالصواب أن دليل التمانع دالٌ على توحيد العبادة المتضمن لتوحيد الربوبية، فلا يقتصر دليل التمانع على إثبات الربوبية كما يزعم المتكلمون ،وإنما سيق أصلا لتقرير تفرد الله عزو جل باستحقاق العبادة دون سواه، وتوحيد العبادة يتضمن توحيد الربوبية ولا شك، قال شيخ الإسلام بن تيمية :" دليل التمانع أورده الله تعالى لتقرير الألوهية وليس فقط لتقرير الربوبية كما يظن المتكلمون "[٢٩]

وفي الكتاب آياتٌ عدة قرن فيها الحق سبحانه انتظام الكون بتوحيده سبحانه في عبادته ونفي الشريك عنه، ومن ذلك قول الله سبحانه و تعالى: ٌّ كل كم لجلح لخ لم لهمج مح مخ مم نجنح نخ نم نهٰهج هم هٰ يج يحَّ [٣٠] والآية نص في تقرير توحيد العبادة لو يفقه المتكلمون؛ بل إن هذا الكون الفسيح بما فيه من عوالم يوحد الله تعالى و يسبح بحمده يقول تعالى: ٌّ كم كى كي لم لى لي مامم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يمين يى ييئج ئحَّ [٣١] وشيءٌ نكرة في سياق النفي فدلت على العموم؛ فكل الأشياء تسبح بحمد الله عز وجل ولكننا لا نعلم كيف تسبح

فالصواب أن دليل التمانع سيق للدلالة على توحيد العبادة المتضمن لتوحيد الربوبية، وليس توحيد الربوبية فقط هو مقصود الآية الكريمة؛ إذ البشر كلهم على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم يعلمون أن الله تعالى ربهم وخالقهم ولا يحتاجون هذا العنت في تقرير الربوبية لله عز وجل.

ومن هنا نعلم أن كتبُ المتكلمين تقرر نوعين فقط من التوحيد هما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، على أن تقريرهم لتوحيد الصفات لا يخلو من انحراف أو بدعة؛ فكل فرقة من المتكلمين تُقر من الصفات ما تستسيغه عقولهم وتنكر بقية الصفات–تنزيها لله زعموا– والمتكلمون بذلك مخالفون لمنهج الكتاب والسنة من وجهين؛ أما الوجه الأول

فإهمالهم لتوحيد العبادة الذي هو الغاية من خلق الجن والإنس والخلق أجمعين، وأما الثاني فهو ظنهم أن توحيد الله عز وجل إنما يتحقق بإثبات الربوبية لله تعالى وحده ونفي صفاته، ولذلك جاءت تقريرات المتكلمين لمعنى الواحد والأحد ولكلمة التوحيد " لا إله إلا الله" خاطئة مجانبة للصواب بعيدة عن روح الكتاب والسنة و ما كان عليه سلف الأمة في قرونها المفضلة؛ فالتوحيد عند الجهمية أتباع الجهم بن صفوان نفيُ أسماء الله تعالى وصفاته كلها وجعلها من باب المجاز [٣٢] ولازم قولهم هذا أنه ليس فوق السماء ربٌ يُعبد؛ إذ كيف يوجد شيءٌ دون صفات ؟! فخالفوا بذلك صريح النقل وصحيح العقل.

وأما المعتزلة فإنّ أول أصولهم العقدية الخمسة إثبات الأسماء ونفي الصفات ويُسمّون ذلك توحيدا– وليس من التوحيد في شيء– يقول رأس المعتزلة واصل بن عطاء :" من أثبت لله معنى أو صفة قديمة فقد أثبت إلهين "٣٣ ونقل ابن المرتضى المعتزلي٣٤ إجماع المعتزلة على قولهم في الصفات، فقال: "وأما ما أجمعت عليه المعتزلة، فقد أجمعوا على أن للعالم محدثا قديما قادرا، عالما، حيا لا لمعان "35.

وأما الأشاعرة فالتوحيد عندهم توحيدٌ في الذات وفي الصفات و في الأفعال؛ ويفسرون معنى هذا التوحيد " بأن الله تعالى واحدٌ في ذاته لا قسيم له، واحدٌ في صفاته لا شبيه له، وواحدٌ في أفعاله لا شريك له[٣٦] فوحدة الذات تنفي تركب الذات وتنفي تعددها، ووحدة الصفات تنفي التعدد في صفات الله من جنس واحد وتنفي مشابهة صفات الخلق لصفاته، ووحدة الأفعال تنفي أن يكون لغير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد[٣٧]

وأشهر أنواع التوحيد عند الأشاعرة وأكثرها دلالةً على التوحيد هو توحيد الربوبية، وبه يفسرون معنى "لا إله إلا الله "فمعنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) لا خالق إلا الله "٣٨ فأصاب الأشاعرة في أن الله هو المتفرد بالخلق والإيجاد دون سواه، وجانبوا الصواب في نوعي التوحيد الآخرين أعني توحيد العبادة و توحيد الصفات.

ولم يتخلف معنى التوحيد عند الماتوريدية كثيرا عن معناه عند أسلافهم المعتزلة والأشاعرة؛ فهذا أبو منصور الماتوريدي يقول في معنى التوحيد والواحد: " والله واحدٌ لا شبيه له، دائمٌ قائمٌ لا ضد له ولا ند[٣٩]وهذا تأويل قول الله تعالى: ٌ نى هج همهى هي يج يحٌ ٤٠ ويفسر أبو منصور الماتوريدي تعريفه هذا بقوله :" واحد أي في العظمة والكبرياء والقدرة والسلطان، وواحد بالتوحد عن الأشباه والأضداد، ولذا بَطلَ القول فيه بالجسم والعرض وإذا ثبت ذا بطل تقدير جميع ما يضاف إليه من الخلق ويوصف به من الصفات، بما يفهم منه لو أضيف إلى الخلق ووُصِف به "٤١ و آية الشورى:ٌ نى هج همهى هي يج يحٌ[٤٢]

والتي ساقها أبو منصور لتقرير معنى التوحيد الذي يعتقده المتكلمون نصٌ في استحقاق الله تعالى التفرد في الذات والصفات وفي الأفعال وفي العبادة؛ فالله جل وعلا ليس كمثله شئ في ذاته وليس كمثله شئ في أسمائه وصفاته وليس كمثله شئ في أفعاله وليس كمثله شئ في استحقاقه العبادة وحده دون سواه؛ لأن المتفرد بهذه الصفات هو المستحق للعبادة وحده، وهذا لب الآية والغاية منها، فالآية الكريمة ليست قاصرةً على ما ذهب إليه الماتوريدي؛ قال العلامة ابن القيم رحمه الله عن الآية الكريمة :" .إنما قصد به نفي أن يكون معه شريك أو معبود يستحق العبادة والتعظيم؛ كما يفعله المشبهون والمشركون، ولم يقصد به نفي صفات كماله وعلوه على خلقه وتكلمه بكتبه وتكلمه لرسله ،ورؤية المؤمنين له جهرة بأبصارهم [٤٣] قال القرطبي رحمه الله في الجامع: " التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات، وزاد الواسطي رحمه الله بيانا فقال: ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ" [٤٤]والمقصود بموافقة اللفظ أن الله تعالى أثبت لنفسه صفات وأثبتها لخلقه كما في صفتي (الرؤوف والرحيم) التين وصف الله تبارك وتعالى بهما نفسه ووصف بهما نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى:ٌ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حجَّ [٤٥] فالموافقة بين الصفتين إنما هي في الفظ دون الكيفية؛ فصفة الحق سبحانه تليق به كونه الخالق المتفرد بصفات الكمال والجلال سبحانه، وصفة المخلوق تناسبه كمخلوق لا حول له ولا قوة إلا بالله القوي العزيز.

وظن المتكلمون أن توحيد الربوبية هو الذي جاءت به الرسل عليهم السلام وأنه الغاية من الخلق، وكذبوا والله؛ إذ مقصود كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب و خلق السموات والأرض والجنة والنار هو توحيد العبادة وإخلاصها لله وحده قال الحق تعالى:ٌ ّ ئر ئز ئم ئن ئى َّ [٤٦] والمتكلمون ينزّلون فهمهم القاصر هذا لمعنى التوحيد على نصوص توحيد العبادة؛ ويظنونها أنها مقرِرة لتوحيد الربوبية فقط، ولذا لا تجد في كتب المتكلمين كثير اهتمام بتوحيد العبادة الذي هو غاية الحق تعالى من خلق هذا الكون وما فيه.

وخلاصة هذا المبحث أن الوحدانية عند المتكلمين هي اعتقاد تفرد الله عز وجل في ذاته وفي أفعاله وفي صفاته التي يثبتونها وتستسيغها عقولهم فقط، وهو معنى ناقص لا تتم به العقيدة الإسلامية الصحيحة التي بيّنها أبو القاسم صلى الله عليه وسلم و لا يتحقق به التوحيد الصحيح الذي هو شرطٌ رئيسٌ في صحة الإيمان الذي أمر الحق سبحانه باعتقاده

وعبادته سبحانه بمقتضاه، وهو اعتقاد تفرده تعالى في ذاته وفي أسمائه وصفاته وفي أفعاله وفي استحقاقه العبادة دون سواه.

وقد نزل المتكلمون تنظيرهم الفاسد هذا لمعنى التوحيد على نصوص الكتاب والسنة ؛ ولذا كانت استدلالاتهُم بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في باب التوحيد قاصرةً على توحيد الربوبية وبعض الصفات دون توحيد العبادة ويحسبون أنهم بذلك قد أصابوا التوحيد الصحيح الذي أراده الله تعالى دينا وعقيدة للناس، وسأعرض هنا بحول الله تعالى بعضا من استدلالاتهم المتكلمين بأحاديث من الكتب التسعة على تقرير عقيدتهم في توحيد الله عز وجل، ثم أتبعها بالصواب الذي وفق الله تعالى أهل السنة والجماعة إليه مستهدية بنور الكتاب والسنة مبينة فساد معنى التوحيد عند المتكلمين أصلا؛ ليسهل بذلك إبطال استدلالاتهم بالحديث النبوي على ما ذهبوا إليه من عقائد في هذا الباب

-ومن الأحاديث التي استدل بها المتكلمون على التوحيد توجيهُ النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه لما أرسله لليمن يعلم أهلها الإسلام، وفيه نبّه النبي صلى الله عليه وسلم معاذا لأمر عظيم لابد أن يبدأ به كل داعية إلى الله تعالى في كل زمان ومكان وهو توحيد العبادة، الأمر الذي لم يأخذه المتكلمون بعين الاعتبار، فكان ذلك سببا في تخبطهم في تفسير معنى التوحيد سيما توحيد العبادة، ونص حديث النبي صلى الله عليه وسلم ووصيته لمعاذ رضي الله عنه و أرضاه:

-(**(إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ)**)[٤٧] قال البيهقي رحمه الله معلقا على قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أن يوحدوا الله تعالى): "الواحد: هو الفرد الذي لم يزل وحده بلا شريك، وقيل هو الذي لا قسيم لذاته ولا شبيه له، ولا شريك، وهذه صفة يستحقها بذاته"[٤٨] قال التفتازاني :" الواحد يعني أن صانع العالم واحد، ولا يمكن أن يصدق مفهوم واجب الوجود إلا على ذات واحدة "[٤٩]

-ومن الأحاديث التي استدل بها على المتكلمون على عقيدتهم في توحيد الله عز وجل حديث عائشة رضي الله عنها :كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تضور من الليل قال:(**(لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار)**)[٥٠] قال الحليمي في معنى الواحد :" أنه يحتمل وجوها: أحدها أنه لا قديم سواه؛ فهو واحد من حيث

أنه ليس له شريك فيجري عليه لأجله حكم العدد وتبطل به وحدانيته، والآخر أنه واحد بمعنى أن ذاته ذات لا يجوز عليه التكثر بغيره، والإشارة فيه إلى أنه ليس_بجوهر ولا عرض....والثالث أن معنى الواحد هو القديم، فإذا قلنا الواحد فإنما هو الذي لا يمكن أن يكون أكثر من واحد، والذي لا يمكن أن يكون أكثر من واحد هو القديم، لأن القديمَ بإطلاق السابقُ للموجودات "[٥١]

وأما الإله عند المتكلمين فهو القادر على الخلق والإيجاد، وبالتالي **فالألوهية عندهم هي القدرة على الاختراع والخلق؛** ولذا يفسرون معنى "لا إله إلا الله" بأن معناها لا خالق إلا الله[٥٢] ومن المتكلمين من فسر كلمة التوحيد بأنه لا معبود إلا الله ومنهم الخطابي[٥٣] في شرحه لحديث النبي صلى الله عليه وسلم :

-((**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**)) [٥٤]قال الخطابي: (لا إله إلا الله) معناه لا معبود غير الله "[٥٥] قال الحليمي رحمه الله [٥٦]: "في هذا بيان أن هذه الكلمة (لا إله إلا الله)يكفي الإسلام بها من جميع أصناف الكفر بالله عز وجل......لأن من قال: لا إله إلا الله، فقد أثبت الله ونفى غيره، فخرج بإثبات ما أثبت من التعطيل، وبما ضم إليه من نفي غيره عن التشريك، وأثبت باسم الإله الإبداع"[٥٧]وعنون البيهقي رحمه الله في كتابه (الأسماء والصفات): بَابُ ذِكْرِ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي رَوَيْنَاهَا عَلَى طَرِيقِ الْإِيجَازِ؛ اللَّهُ: مَعْنَاهُ مَنْ لَهُ الْإِلَهِيَّةُ، وَهِيَ الْقُدْرَةُ عَلَى اخْتِرَاعِ الْأَعْيَانِ، وَهَذِهِ صِفَةٌ يَسْتَحِقُّهَا بِذَاتِهِ " ثم ساق البيهقي –حديث أنس رضي الله عنه:((كُنَّا نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَأْتِيَهُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ قَالَ: «صَدَقَ» قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: «اللَّهُ» قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: «اللَّهُ» قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ؟ قَالَ: «اللَّهُ» قَالَ: فَمَنْ جَعَلَ فِيهَا هَذِهِ الْمَنَافِعَ قَالَ: «اللَّهُ» قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَنَصَبَ الْجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا هَذِهِ الْمَنَافِعَ آللَّهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَدَقَةً فِي أَمْوَالِنَا قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟، قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرٍ فِي سَنَتِنَا قَالَ: «صَدَقَ» قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ،قَالَ: «صَدَقَ» قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ، فَلَمَّا مَضَى قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: ((لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ)) [٥٨]

قَالَ الْحَلِيمِيُّ رحمه الله فِي مَعْنَى لفظ الجلالة «اللَّهِ»: " إِنَّهُ الْإِلَهُ وَهَذَا أَكْبَرُ الْأَسْمَاءِ وَأَجْمَعُهَا لِلْمَعَانِي ومَعْنَاهُ الْقَدِيمُ التَّامُّ الْقُدْرَةِ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ سَابِقًا لِعَامَّةِ الْمَوْجُودَاتِ كَانَ وجُودُهَا بِهِ،وَإِذَا كَانَ تَامَّ الْقُدْرَةِ أَوْجَدَ الْمَعْدُومَ، وَصَرَفَ مَا يُوجِدُهِ عَلَى مَا يُرِيدُهُ، فَاخْتَصَّ لِذَلِكَ بِاسْمِ الْإِلَهِ. .وَمَنْ قَالَ الْإِلَهِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ فَقَدْ رَجَعَ قَوْلُهُ إِلَى أَنَّ الْإِلَهَ إِذَا كَانَ هُوَ الْقَدِيمُ التَّامُّ الْقُدْرَةِ كَانَ كُلُّ موجود سواه صَنِيعًا لَهُ. .... وَقَوْلُ الْمُوَحِّدِينَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مَعْنَاهُ لَا مَعْبُودَ غَيْرُ اللَّهِ، وَ (إِلَّا) فِي الْكَلِمَةِ بِمَعْنَى غَيْرٍ لَا بِمَعْنَى الِاسْتِثْنَاءِ"[٥٩]

وهكذا يدندن المتكلمون بشروحهم لأحاديث التوحيد وتعليقاتهم عليها حول توحيد الربوبية وبعض الصفات التي تستسيغها عقولهم دون غيرها من الصفات، ومن المعلوم أن "هذا التوحيد قد أقر به المشركون، ولم ينكره أحد من بني آدم "[٦٠]وبالمقابل فقد أهمل المتكلمون توحيد العبادة الذي لا نجاة للعبد من الخلود في النار إلا بتحققه والإيمان به والعمل بمقتضاه وهو الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب قال تعالى:قَالَ تَعَالَىٰ: لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني[٦١] ولكن الله يضل من يشاء و يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم.

المبحث الثاني: نقد استدلالات المتكلمين بأحاديث من الكتب التسعة على عقيدتهم في توحيد الله تعالى

قبل الرد على المتكلمين ونقد استدلالاتهم بالحديث النبوي على عقيدتهم في معنى وحدانية الله تعالى أرى من الأهمية بمكان توضيح معنى التوحيد الذي جاءت به النصوص ونزل به الوحي وبينه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر به الحق سبحانه الإنس والجن والذي به سعادة الدارين والنجاة من الخلود في النار يوم القيامة، وهو التوحيد الخالص من الشرك والبدع، المتضمن اعتقاد تفرد الله سبحانه في ذاته وفي أسمائه وصفاته وأفعاله وفي استحقاقه العبادة دون سواه وعبادته تعالى بمقتضى هذا الاستحقاق بالقلب واللسان والجوارح؛ ومن أوضح تقسيمات أهل السنة للتوحيد تقسيمان

الأول: التوحيد من جهة العباد وهو نوعان ؛

أ)**التوحيد العلمي:** ويسمى التوحيد (الخبري/ الاعتقادي) المتضمن إثبات الخلق الرزق والملك والتدبير والإحياء والإماتة لله تعالى وحده ويعرف ب(توحيد الربوبية) وإثبات صفات الكمال

والجمال لله وحده مع تنزيهه عن التشبيه والتمثيل والتكييف والتعطيل وعن كل عيب و نقص ويعرف هذا التوحيد ب(توحيد الأسماء والصفات)

ب)–**التوحيد العملي:** ويسمى التوحيد (الطلبي/ القصدي/ الإرادي) وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وتجريد محبته. ..وخوفه مع رجائه والتوكل عليه والرضا به ربا وإلها. وهو (توحيد الألوهية)[٦٢]

الثاني: أنواع التوحيد باعتبار متعلقه ثلاثة أنواع؛

أ)**توحيد الربوبية:** وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شئ ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت مدبر أمر الدنيا والآخرة دون سواه.

ب)**توحيد الألوهية:** وهو إفراد الله تعالى بالعبادة وحده؛ فيعبد الله تعالى وحده بقلبه وبلسانه وبجوارحه، وهذا معنى إخلاص التأله لله تعالى بمحبته والخضوع له وهذا هو التوحيد الذي لأجله خلق الله الخلق وأعد الجنة والنار وهو محل النزاع بين الرسل عليهم الصلاة والسلام وبين مخالفيهم من المشركين.

ج)**توحيد الأسماء والصفات:** وهو الإيمان الجازم بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة كما يليق بعظمته سبحانه وجلاله بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تفويض ولا تأويل، ونفي ما نفاه الكتاب والسنة عن الله عز وجل من الصفات **وهذا التوحيد بأقسامه الثلاثة –مجتمعة– هو المنجي من الخلود في النار يوم القيامة**؛ إذ العبد مأمورٌ شرعا باعتقاد هذا التوحيد والإيمان به والعمل بمقتضاه، إيمانا بقلبه وقولا بلسانه وعملا بجوارحه؛ حيث الإيمان في عقيدة أهل السنة والجماعة " قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح"[٦٣] ليكون العبد بهذا التوحيد من الموحدين الذين يعصم توحيدُهم الصحيحُ دماءَهم وأموالهم وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلَّوْا صَلاَتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إلا بحقها وحسابهم على الله)[٦٤] وعليه فلا ينفع توحيد الربوبية وحده لعصمة الدم والمال في الدنيا ولا يكفي وحده للنجاة من الخلود في النار يوم القيامة كما يدعي المتكلمون.

وبهذا يختلف معنى التوحيد الذي وضعه المتكلمون عن معناه الوارد في كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع[٦٥] والعقل السليم والواقع المشاهد ؛فالواحد عند المتكلمين كما تقدم "هو الذي لا قسيم لذاته، ولا شبيه له، ولا شريك"[٦٦] وهو صانع العالم الذي لا قديم سواه[٦٧]وهو الذي لا يجوز عليه التكثر بغيره لأنه

ليس بجوهر ولا عرض[٦٨] وهو قول الحليمي في المنهاج[٦٩] وأما الإله عند المتكلمين فهو القادر على الخلق والاختراع، والألوهية هي القدرة على الخلق والإبداع، وعليه فسر المتكلمون كلمة التوحيد(لا إله إلا الله) بأن معناها: لا خالق إلا الله[٧٠] ومنهم من قال: معناها لا معبود إلا الله[٧١] وجاء في المنهاج أن(إلا)في كلمة التوحيد (لا إله إلا الله): بمعنى غير لا بمعنى الاستثناء"[٧٢]وقال أيضا: " يكفي الإسلام بها-يعني كلمة التوحيد- من جميع أصناف الكفر بالله عز وجل......لأن من قال: لا إله إلا الله، فقد أثبت الله ونفى غيره، فخرج بإثبات ما أثبت من التعطيل، وبما ضم إليه من نفي غيره عن التشريك، وأثبت باسم الإله الإبداع[٧٣] وقال الحليمي أيضا :"مَعْنَاهُ الْقَدِيمُ التَّامُّ الْقُدْرَةِ , فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ سَابِقًا لِعَامَّةِ الْمَوْجُودَاتِ كَانَ وجُودُهَا بِهِ، وَإِذَا كَانَ تَامَّ الْقُدْرَةِ أَوْجَدَ الْمَعْدُوم، وَصَرَفَ مَا يُوجِدُهِ عَلَى مَا يُرِيدُهُ، فَاخْتَصَّ لِذَلِكَ بِاسْمِ الْإِلَه "[٧٤]

وكل تلك المعاني التي ساقها المتكلمون في شروحاتهم لأحاديث التوحيد و لمعنى كلمة التوحيد ولمعنى الإله والألوهية تتعارض مع معنى التوحيد الذي نص عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة؛ حيث أخضع المتكلمون استدلالاتهم بالحديث النبوي لما وضعوه من معاني الوحدانية فكان لابد من نقض تعريفهم للتوحيد أولا؛ ليسهل بذلك نقض استدلالاتهم بأحاديث التوحيد على ما ذهبوا إليه من معاني الوحدانية؛ لأن ما بُني على باطل فهو باطل.

ولعل تعريف الشهرستاني للتوحيد الآنف الذكر من أجمع تعريفات المتكلمين للتوحيد-عندهم- والذي نصه: " **وأما التوحيد فقد قال أهل السنة و جميع الصفاتية: أن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له ،وواحد في أفعاله لا شريك له**"[٧٥] ويقصد الشهرستانيُ بأهل السنة الأشاعرة، والصواب أن الأشاعرة مخالفون للكتاب و السنة في هذا الباب، فليسوا هم أهل السنة الذين عناهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: **((من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي))**[٧٦] وذلك في معرض حديثه صلى الله عليه وسلم عن الفرقة الناجية من الانحراف عن المنهج النبوي في توحيد الله تعالى؛ وأما قول المتكلمين في تعريف التوحيد بأنه سبحانه "**واحد في ذاته لا قسيم له؛** فالواحد عندهم يمتنع عليه التقسيم والتبعيض والتجزئة لأن تلك أوصافٌ إنما تكون للأجسام، والله تعالى ليس بجسم لأنه منزه عن ذلك[٧٧] وهو تعريف مجمل يحتمل الحق والباطل؛ فأما الحق المحتمل في هذا التعريف فهو أن الله تعالى فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يُركب من أجزاء، وأن له سبحانه ذات تليق بعظمته وجلاله، لا تشبه ذوات المخلوقات، وله صفات

تليق بعظمته وجلاله، لا تشبه صفات المخلوقات، وأما الباطل الذي يحتمله هذا التعريف فهو نفي صفات الله عز وجل ؛كعلوه سبحانه واستوائه على عرشه ومباينته لخلقه ودنوه وقربه ونزوله تعالى متى شاء وغيرها من الصفات، وهذا تفسير باطل ليس من التوحيد في شئ، وقد تنبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن المعنى الباطل هو مراد المتكلمين فقال : " ليس مرادهم بأنه لا ينقسم ولا يتبعض أنه لا ينفصل بعضه عن بعض، وأنه لا يكون إلهين اثنين...... وإنما مرادهم بذلك أنه لا يُشهد ولا يرُى منه شيء دون شيء، ولا يُدرك منه شيء دون شيء، بحيث إنه ليس له في نفسه حقيقة عندهم قائمة بنفسها. ...ولا أن يكون بحيث يلقاه العبد أو يصل إليه، أو يدنو منه، أو يقرب إليه في الحقيقة، فهذا ونحوه هو المراد عندهم بكونه لا ينقسم، ويسمون ذلك نفي التجسيم، إذ كل ما ثبت له ذلك كان مجسماً منقسماً مركباً، والبارئ منزه عندهم عن هذه المعاني" [٧٨] وهذا ما يفسر لنا تعريف المتكلمين للفظ الواحد الوارد في السنة بأنه الذي لا قسيم له، وأنه ذات لا يجوز عليه التكثر بغيره، وليس له جوهر ولا عرض، ولا يمكن أن يكون أكثر من واحد، وقد صرح الرازي في أساسه "بأن كل متحيز فهو منقسم، وكل منقسم فهو ليس بأحد"[٧٩] يريد المتكلمون بذلك أن ينفوا الجسمية والصفات عن لفظ الواحد لاعتقادهم أن الله ليس بجسم، ولذا يمتنع–عندهم– اتصافه بالصفات، وأما ما سوى الله فيجوز عليه الجسمية والصفات.

–ودعوى المتكلمين هذه باطلةٌ مخالفةٌ لما ورد في الكتاب وفي السنة وفي لغة العرب وليس عليها دليل صحيح؛ فقد جاء في النصوص تسمية بعض الأشياء بالواحد والأحد والواحدة وهي مع ذلك تنقسم وتتبعض وتتجزأ وتُسمى أجساما، وأمثلة ذلك من النصوص كثيرة منها قول الله تعالى:ُّ **نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم بهتج تح تخ تم ته ثم جح جم حجحم خج خم سج سح سخ سمصح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظمعج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كجكح كخ كل كم لج لح** َّ[٨٠] وقوله تعالى :ُّ **نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يىئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخبم به تج تح تختم ته ثمجح جم حج حم خج** َّ[٨١]وكذلك قول الله تعالى :ُّ **نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تحتخ تم ته ثم جح جم حج** َّ[٨٢]وجاء عند البخاريَ أن عمر قال: حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَضَاعَهُ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِيَهُ مِنْهُ وَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَائِعُهُ بِرُخْصٍ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ:**((لاَ تَشْتَرِهِ وَإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ وَاحِدٍ فَإِنَّ العَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ))**[٨٣] وجاء عند البخاري

قول النبي صلى الله عليه وسلم :((**أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البدر لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلاَ يَمْتَخِطُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا**))[٨٤]

–ولا يمتنع في لغة العرب أن يقال :رجل واحد، وفرس واحد ،وجمل واحد، ودرهم واحد، وثوب واحد، وهي أشياء معلوم بالضرورة أنها تنقسم وتتبعض وتُسمى أجساما، وهل يَعقِل الإنسانُ شيئا ينقسم ويتجزأ ويتبعض إلا أجساما ؟! " يقول شيخ الإسلام رحمه الله " لا يوجد في اللغة اسم واحد إلا على ذي صفة ومقدار "[٨٥] ونقل رحمه الله نصاً للدارمي في نقضه على المريسي جاء فيه: " وهذا النفي الذي يذكره النفاة ويفسرون به اسم الله الواحد وغير ذلك هو عند أهل السنة والجماعة مستلزم العدم، منافٍ لما وصف به نفسه في كتابه من أنه الأحد الصمد وأنه العلي العظيم، وأنه الكبير المتعال، وأنه استوى على العرش، وأنه يُصعد إليه ويوقف عليه وأنه يُرى في الآخرة كما تُرى الشمس والقمر، وأنه يكلم عباده، وأنه السميع البصير " [٨٦] فدلت النصوص واللغة والعقل السليم على فساد تعريف المتكلمين للفظ الواحد، ناهيك أنه ليس لدى المتكلمين دليل واحد صحيح على صحة دعواهم

–وأما قول الشهرستاني "**واحد في صفاته لا شبيه له**" فظاهره الصحة؛ فالإنسان يعلم أن الله تعالى ﴿ **ني هج همهى هي يج يح** ﴾[٨٧] والعقل السليم يحيل أن يكون هناك مماثل لله تعالى فيما يخصه سبحانه من الأسماء والصفات مع إمكان اتفاق الاسم والصفة بين الله عز وجل وأحد من خلقه؛ فالله تعالى موجود والناس موجودون، والله تعالى رحيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم رحيم، لكن رحمة الله تعالى تليق بجلاله وعظمته، ولأبي القاسم صلى الله عليه وسلم رحمة تخصه كمخلوق يستمد حوله وقوته من الله تعالى، يقول شيخ الإسلام رحمه الله :" وأما قولهم :" هو واحد في صفاته لا شبيه له " فقد بيّن أيضا أنه ليس في الأمم من أثبت قديما مماثلا له في ذاته. . بل قد عُلم بالعقل امتناع أن يكون له مِثلٌ في المخلوقات، يشاركه فيما يجب أو يجوز أو يمتنع"[٨٨] فأصاب المتكلمون في وصفهم لله تعالى أنه لا شبيه له في صفاته، **لكن الخطأ الذي وقعوا فيه أنهم جعلوا نفي صفات الله عز وجل توحيداً وهي طريقة مخالفة لما في الكتاب والسنة** وما كان عليه سلف الأمة "ولم يرد في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أقوال السلف أن يُجعل نفيُ الصفات أو بعضها من التوحيد"[٨٩] والمعتزلة جعلت هذا التوحيد هو أول أصولهم الخمسة فالقديم عندهم

ليس معه في القدم غيره "فلو كان له صفات، للزم تعدد القدماء مع الله تعالى "[90] فجعل المتكلمون حقيقة التوحيد نفي الصفات التي لا تستسيغها عقولهم، وتجد الأمر نفسه عند الأشاعرة والماتوريدية والكلابية وغيرهم من المتكلمة، على اختلاف بينهم في تقرير الصفات التي تعتقدها كل فرقة؛ كلٌ على حسب قواعد المذهب الذي ينتمي إليه، ومعلوم أن تقرير المتكلمين–لما يرونه– من الصفات فيه ما فيه من الزيغ والضلال والانحراف عن منهج الكتاب والسنة، وسيأتي مزيد بيان في فصل الصفات بإذن الله، إنما وددتُ الإشارة هنا إلى بطلان تأصيلهم لمعنى التوحيد القائم –عندهم– على نفي الصفات؛ ذلك أن النفي ليس مدحا ولا ثناء ولا يتضمن إثبات الكمال لله عز وجل، يوضح ذلك شيخ الإسلام رحمه الله فيقول :" لِأَنَّ النَّفْيَ الْمَحْضَ عَدَمٌ مَحْضٌ؛ وَالْعَدَمُ الْمَحْضُ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَمَا لَيْسَ بِشَيْءٍ فَهُوَ كَمَا قِيلَ: لَيْسَ بِشَيْءٍ؛ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مَدْحًا أَوْ كَمَالًا "[91] وهذا ما يفسر لنا غلبة النفي في وصف الله تعالى على الإثبات عند المتكلمين؛ كما في تفسيرهم للفظ الواحد الوارد في السنة بأنه ليس جوهرا ولا عرضا؛ يريدون بذلك نفي صفات الحق سبحانه، فانظر كيف جعل المتكلمون نفي صفات الله تعالى توحيدا !! ثم يقولون أنهم أهل السنة ؟!

–والجوهر والعرض والجسم ألفاظٌ مبتدعة لم ترد في الكتاب ولا في السنة، وهي تحتمل حقا وباطلا، فلابد من التفصيل لتجلية الحق ورد الباطل الذي تحتمله هذه الألفاظ، فيقال للمتكلمين: إن أردتم بنفي الجوهر و العرض عن الله تعالى نفيُ صفاته سبحانه كالوجه و الكف واليد و نفي استوائه على عرشه ونفي علوه على خلقه وغيرها من الصفات الثابتة في الكتاب والسنة فهذا معنى باطلٌ ما أنزل الله به من سلطان، مردودٌ عليكم جملة وتفصيلا، وإن أردتم بنفي الجوهر والعرض أن لله سبحانه ذاتا ليست كذوات المخلوقين وصفاتٍ ليست كصفاتهم فهذا حقٌ، فنقر المعنى الصحيح للفظي الجوهر والعرض ونرد معناهما الباطل مع الالتزام بالألفاظ الشرعية لأن فيها كفاية.

–ونفيُ صفات الله تعالى لإثبات التوحيد يُصادم النقل والعقل السليم؛ إذ كيف يتصور الإنسان ذاتا بلا صفات؟! هذا يناقض العقل السليم؛ إذ ما من موجود إلا ولابد له من صفة، وأما مالا صفة له فلا وجود له، إنما هو محض العدم " فالجوهر الفرد الذي يثبته من يثبته من أهل الكلام، فإن هذا الواحد لا حقيقة له في الخارج "[92]

–وأما الصفات المنفية عن الله تعالى في النصوص وهي الصفات التي نفاها الحق سبحانه عن نفسه ونفاها عنه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كالموت والعجز والسنة والنوم والظلم واتخاذ الشريك والصاحبة والولد فليس المقصود نفيها فحسب؛ لأن مجرد النفي لا يعتبر

مدحا، وإنما لابد مع نفيها من إثبات كمال ضدها لله عز وجل؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ النَّفْيَ لَيْسَ فِيهِ مَدْحٌ وَلَا كَمَالٌ إلَّا إذَا تَضَمَّنَ إثْبَاتًا، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ النَّفْيِ لَيْسَ فِيهِ مَدْحٌ وَلَا كَمَالٌ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ الْمَحْضَ عَدَمٌ مَحْضٌ؛ وَالْعَدَمُ الْمَحْضُ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَمَا لَيْسَ بِشَيْءٍ فَهُوَ كَمَا قِيلَ: لَيْسَ بِشَيْءٍ؛ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مَدْحًا أَوْ كَمَالًا، وَلِأَنَّ النَّفْيَ الْمَحْضَ يُوصَفُ بِهِ الْمَعْدُومُ وَالْمُمْتَنِعُ وَالْمَعْدُومُ وَالْمُمْتَنِعُ لَا يُوصَفُ بِمَدْحٍ وَلَا كَمَالٍ.فَلِهَذَا كَانَ عَامَّةُ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ النَّفْيِ مُتَضَمِّنًا لِإِثْبَاتِ مَدْحٍ " [٩٣] وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: " ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كما ضده، لا لمجرد النفي؛ لأن النفي ليس بكمال "[٩٤] ومن ذلك قوله تعالى: ٱ **بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر** ٌّ[٩٥] فالغاية من نفي الظلم في الآية هو إثبات كمال العدل لله سبحانه كما أن الغاية من النفي في قوله الله: ٱ **يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ** ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ ّٰ[٩٦]إثبات كمال الحياة لله عز وجل، وفي قوله تعالى: ٱ **لخ لم لى لي مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئم ئه بم به تم ته ثم ثه سم سه شم شه** ٌّ[٩٧] نفي العجز عن الحق سبحانه لإثبات كمال قدرته سبحانه، وهكذا في كل صفة منفية في الكتاب أو السنة[٩٨] وهي إحدى قواعد أهل السنة والجماعة في باب الصفات، وعليه فإن مجرد نفي الصفات ليس مدحا فضلا عن إمكان كونه توحيدا كما يتوهم المتكلمون.

-وأما قول المتكلمين: "**واحد في أفعاله لا شريك له**" فهذا معنى صحيح وفيه تقرير وإثبات لتوحيد الربوبية لله عز وجل، لكن المتكلمين ظنوا أن توحيد الربوبية هو مقصود النصوص الآمرة بتوحيد الله تعالى، فألبسوا أحاديث التوحيد لباس الربوبية وقالوا: إن معنى (الإله)هو القادر على الخلق والإبداع، وهو صانع العالم، واعتقدوا أن (الإلهية)هي القدرة على الاختراع، كما يقول الأشعري وغيره ممن يجعلون أخصّ وصف الإله القدرة على الاختراع[٩٩]وهو القديم بإطلاق السابق للموجودات، التام القدرة فإذا كان سابقا لعامة الموجودات كان وجودها به وإذا كان تام القدرة أوجد المعدوم ،وجرى ما يوجده على ما يريده فاختص لذلك باسم الإله، وفسروا كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) بأنها لا خالق إلا الله[١٠٠] وأنه لا معبود إلا الله [١٠١]وهي تفسيرات مخالفٌة لما جاء به الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة المشهود لهم بالخيرية في الوحيين؛ "فليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع، كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين؛ وليست الإلهيةُ القدرة على الخلق والإبداع؛ بل هذا فهمٌ سقيم معارض لمعنى الألوهية التي أرادها الحق سبحانه وبينها في كتابه وأمر نبيه محمدا

صلى الله عليه وسلم ببيانها للأمة، ولا يزال هذا الفهم السقيم في المسلمين تتعاقب عليه أجيال المتكلمين وتُخلِف به عقائدَ باطلة ما أنزل الله بها من سلطان وهي نتاج عقول قاصرة وظنون فاسدة.

-ويشهد الكتاب والسنة و اللغة والعقل السليم على فساد تفسيرات المتكلمين لألفاظ الوحدانية ولكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فألّهَ في اللغة معناه: عبد، والإله هو المعبود ،يقال: ألهَ يألَهُ بالفتح بمعنى عبد يعبد.والتأله: التنسك والتعبد، والتأليه: التعبيد[١٠٢] قال ابن فارس: "الهمزة واللام والهاء أصل واحد وهو التعبد فالإله الله تعالى، وسُمي بذلك لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل إذا تعبد"[١٠٣] وقال الزجاج: "معنى قولنا: (إله) إنما هو الذي يستحق العبادة وهو الله تعالى المستحق لها دون سواه "[١٠٤] وقال الفيروز أبادي: "ألهَ يألهُ إلهة وتألها كعبد يعبد عبادة وتعبدًا"[١٠٥] وقال ابن جرير: "أله بمعنى عبد، والإله مصدره من قول القائل: أله الله فلان إلاهة كما يقال: عبد اللهَ فلانٌ عبادة"[١٠٦] فدلت هذه التعريفات للفظ (الإله) أن التأله هو التعبد والمألوه هو المعبود المطاع، وكل ما عُبد بأي نوع من أنواع العبادة فهو إلهٌ عند عابديه، فالمال إلهٌ، والهوى إلهٌ، والأصنام والأشجار آلهةٌ عند من يعبدها قال تعالى: ٱ ٻ ٻ **ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي** ٌّ[١٠٧] قال شيخ الإسلام ابن تيمية :" فالإله هو الذي تألهه القلوب عبادة واستعانة ومحبة وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً وإجلالاً وإكرامًا، والله عز وجل له حق لا يشاركه فيه غيره فلا يُعبد إلا الله ولا يُدعى إلا الله ولا يُخاف إلا الله ولا يُطاع إلا الله" [١٠٨]قال ابن رجب رحمه الله :" الإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً ومحبة وخوفًا ورجاءً وتوكلاً عليه وسؤالاً له ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قوله: (لا إله إلا الله) وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك" [١٠٩] وكل تلك التفسيرات لكلمة (إله)تجتمع على أن الإله هو المعبود، لا أنه الخالق، وبذلك يتبين بطلان دعوى المتكلمين في تفسيرهم لمعنى الألوهية ولمعنى كلمة التوحيد(لا إله إلا الله) فهي ليست قاصرة على تقرير القدرة على الخلق والإبداع وتدبير الأمر كما يظن المتكلمون؛ وإنما الصواب الذي لم يوفق إليه المتكلمون أن معنى كلمة التوحيد(لا إله إلا الله) لا معبود بحق إلا الله، وهذا المعنى هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة والتزمه السلف الصالح؛ فترى مصنفاتهم مضيئة بكلمة التوحيد مليئة بشروحها وبيان معناها وتفصيل شروطها وتوضيح نواقضها، ولا يكاد يخلو مصنف من

مصنفات السلف في العقيدة منها، ولا عجب فهم يعرفون عِظَم هذه الكلمة ويعون أهميتها وأنه لا نجاة للعبد إلا أن يؤمن بها ويعمل بمقتضاها ويموت عليها.

– وتقدير الخبر المحذوف في كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) هي كلمة (حق أو بحق أو مستحق أو يستحق) "لأن المعركة بين الرسول صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ ومن بُعِثَ إليهم كانت معروفة أنها لم تكن في نفي وجود آلهة غير الله تعالى بل كانت في نفي استحقاق شيء من هذه الآلهة للعبادة، فصار المعنى الصحيح لكلمة التوحيد لا معبود بحق إلا الله"[١١٠] "ولو كان معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) لا خالق إلا الله، لما حصل نزاع بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين"[١١١] فقد كان المشركون مقرين بأن الله تعالى هو الخالق دون سواه، إنما النزاع بين الأنبياء عليهم السلام وخصومهم كان على توحيد العبادة وأنها حق الله وحده دون سواه، وعلى ذلك كان سلفنا الصالح.

–ونصوص الكتاب والسنة دالةٌ على صواب معنى كلمة التوحيد هذا الذي قرره سلف الأمة كما أنها تؤكد فساد معناها الذي قال به المتكلمون؛ فتفسرهم كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) بأنه لا معبود إلا الله خطأٌ بينٌ؛ حيث جاء في الكتاب والسنة أن هناك ما يُعبد مع الله عز وجل كالأصنام والأشجار والنار والأحبار والرهبان والملائكة والجن وغيرها يقول تعالى: ٌّ **ير يزيم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ َّ**[١١٢] بل أقر المشركون أنهم يعبدون غير الله تعالى كما في قوله تعالى: ٌّ **قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير** َّ[١١٣] و في حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ: " يَا عَدِيُّ اطْرَحْ هَذَا الْوَثَنَ مِنْ عُنُقِكَ، فَطَرَحْتُهُ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ بَرَاءَةَ فَقَرَأَ الْآيَةَ [١١٤]: ٌّ **جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ** َّ[١١٥] وروى مسلم في (صحيحه) عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، وغبر أهل الكتاب. فيدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله. فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا، فاسقنا. فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار.ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم،**

ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ما تبغون؟ فيقولون: عطشنا، يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنهم سراب، يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار. حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا، فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً (مرتين أو ثلاثاً) حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب. فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا. ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم))[١١٦] وهذه النصوص تبطل تفسير كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) الذ يقرره المتكلمون؛ حيث دلت هذه النصوص على أن من الناس من يعبد الأصنام والأحبار والرهبان وعزيرا والمسيح عليهما السلام فهناك إذن معبوداتٌ موجودة سوى الله عز وجل، وهذا ينقض دعوى المتكلمين أن معنى (لا إله إلا الله) لا معبود إلا الله، **والصواب أن معناها لا معبود بحق إلا الله** فهو المستحق للعبادة دون سواه، وكل معبود سواه باطل؛ قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: "معنى (لا إله إلا الله) أي لا معبود بحق إلا إله واحد"[١١٧] وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله :(لا إله إلا الله) أي لا معبود حقٌّ إلا الله " [١١٨]وأنت ترى من الناس من يعبد غير الله عز وجل مثل عبدة النجوم والنار والشياطين والتماثيل وغيرها، وما أكثر المعبودات في هذا الزمان من دون الله تعالى ثم كيف يتميز الناس يوم القيامة بالتوحيد والتقوى إذا لم يكن هناك موحدون ومشركون في الدنيا ؟! ولمن أُعدت النار في الآخرة إذا لم يكن هناك مشركون في عبادة الحق سبحانه ماتوا على الشرك؟!

ودعوى المتكلمين أن (إلا) في كلمة التوحيد بمعنى غير دعوى باطلة فقد ثبت كما تقدم بالكتاب والسنة أن هناك آلهة تُعبد غير الله تعالى؛ فالشمس والكواكب والملائكة والأنبياء والأحجار والأصنام والأحبار والرهبان والهوى معبوداتٌ موجودة تُعبد من دون الله أو تُعبد مع الله تعالى، والصواب أن (إلا)في كلمة التوحيد(لا إله إلا الله) للاستثناء والحصر، ولعل إعراب كلمة التوحيد يزيد معناها وضوحا؛ فقد نظم ابن مالك في ألفتيه إعراب لا النافية للجنس واسمها وخبرها في قوله: وشاع في ذا الباب إسقاط الخبر. ...إذا المراد مع سقوطه ظهر[١١٩]

والمقصود من قول ابن مالك " ظهر" أن خبر لا النافية للجنس محذوف، وحذفه معلومٌ مشاعٌ بين أهل اللغة العربية؛ وأما إعراب كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فهو كالتالي: لا:نافية للجنس مبنية على السكون لا محل لها من الإعراب إلهَ: اسم لا النافية للجنس مبني على الفتح في محل نصب [١٢٠] وخبر لا النافية محذوف تقديره (حق) إلا: حرف استثناء مبني على السكون لا محل له من الإعراب، لفظ الجلالة الله: بدل من خبر لا المحذوف المقدر (بحق)[١٢١] --والكثير من كتب النحو تُقدّر خبر لا النافية للجنس بكلمة (موجود) فيكون تقدير الكلام: لا إله موجود غير الله، وهذا معنى باطل كما تقدم؛ أبطلته نصوص الكتاب والسنة والإجماع والواقع المشاهد؛ إذ المعبودات مع الله موجودةٌ مشاهدة، والصواب كما تقدم أن معنى (لا إله إلا الله) لا معبود بحق إلا الله، وهو معنى موافق لنصوص الكتاب والسنة ولمقاصد الشريعة الإسلامية التي جاءت بتحرير البشر من العبودية لغير الله عز وجل؛ ذلك أن توحيد العبادة هو محل النزاع بين الرسل وخصومهم وليس توحيد الربوبية، وجميع الرسل عليهم الصلاة و السلام -وإن اختلفت شرائعهم- متفقون على أصل دعوتهم جميعا وهو إفراد الله عز وجل بالعبادة، وما أوجد الله تعالى الخلق إلا لعبادته؛ قال تعالى: ﴿ ئر ئز ئم ئن ئى ئي ﴾[١٢٢]وقال النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى لمعاذ لما بعثه لليمن يعلم أهلها الإسلام: ((**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ**)) [١٢٣] قال العلامة المجتهد محمد بن إسماعيل الصنعاني: "اعلم أن الله تعالى بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه، إذ هم مقرون بذلك. " [١٢٤]

-والحق أن مشركي مكة كانوا أعلم من المتكلمين بمعنى (لا إله إلا الله) وفهموا أنها تقصر العبادة على الله وحده المستحق لها دون سواه، وتنفيها عما سواه، بما في ذلك آلهتهم، ولذا استكبروا وعاندوا، قال تعالى: ﴿ كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز ﴾[١٢٥]وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ﴾[١٢٦] والمتكلمون يرددون كلمة التوحيد(لا إله إلا الله) ويدّعون أنهم حماتها المنافحون عنها وهم لايفقهون معناها الذي أراده الله عز وجل وأمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يبلغه للناس ولا يكتمه !!.

-وأما دعوى المتكلمين أن (لا إله إلا الله) بمعناها الذي يعتقدونه وهو (لا خالق إلا الله) وأنه يكفي الإسلام بها لتقي صاحبها من جميع أصناف الكفر، فدعوى باطلةٌ جملة وتفصيلا؛ ذلك أن توحيد الربوبية لا يكفي وحده ليكون العبد به مؤمنا بالله تعالى الإيمان الصحيح الذي أراده الله عز وجل؛ إذ لابد من تحقيق أقسام التوحيد الثلاثة-توحيد الربوبية وتوحيد العبادة وتوحيد الأسماء والصفات- ليحقق العبد بذلك التوحيد ويخلص من الشرك والكفر؛ **ذلك أن العبد قد يكفر مع علمه أنه لا خالق إلا الله**، فلا ينفعه علمه بتوحيد الربوبية شيئا؛ ومن الناس

من يقول بلسانه: (لا إله إلا الله) وهو لا يعلم معناها الصحيح ولا يعتقده بقلبه، ولا يعمل بمقتضاه، فتراه يقولها بلسانه وهو مع ذلك يجعل مع الله أندادا في العبادة، وهذا أعظم الذنب كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم لما سُئِل أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ فقال صلى الله عليه و سلم: ((أن تجعل لله ندًّا، وهو خلقك))[127]وقد أنكر الحق سبحانه على المشركين شركهم في عبادته مع اعترافهم له بالربوبية والخلق والرزق فقال الله تعالى: ٌ **بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جحجم حج حم**ٍّ[128]قال الطبري في تفسيرها: "يقول جل ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله، من خلق السموات والأرض فَسَوّاهن، وسخَّر الشمس والقمر لعباده، يجريان دائبين لمصالح خلق الله، ليقولنّ: الذي خلق ذلك وفَعَلَه الله. (فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) يقول جلّ ثناؤه: أنى يُصْرفون عمن صنع ذلك، فيعدلون عن إخلاص العبادة له "[129] فلم ينفع المشركين إيمانهم ومعرفتهم بأن الله خالقهم وخالق كل شيء، لأنهم أشركوا في عبادته؛ قال الله تعالى: ٌ **يى يي ذٰ رٰ ىٰ** ٌّ ٍّ[130] والآية نص في أن كفار مكة كانوا مؤمنين بتوحيد الربوبية مشركين في توحيد العبادة، قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها: "من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء؟ ومن خلق الأرض؟ ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله، وهم مشركون وقال عِكْرِمَة: "تسألهم: من خلقهم؟ ومن خلق السماوات والأرض في؟ قولون: الله، فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره" وقال مجاهد: "إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا، ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره "وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بن زيد: "ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله، ويعرف أن الله ربُّه، وأنَّ الله خالقُه ورازقُه، وهو يشرك به" [131]

-والخلاصة أن توحيد الربوبية وحده لا يقي العبد من الكفر والشرك؛ فالنفاق الأكبر مثلا سبب للكفر حتى ولو علم المنافق أن الله ربه وخالقه، يقول تعالى: ٌ **ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم** ٍّ[132] فهم يعرفون الله تعالى ويعلمون أنه خالقهم ورازقهم لكنهم يراءون الناس في صلاتهم ولم يخلصوها لله تعالى، ولذا حكم سبحانه أنهم في الدرك الأسفل من النار، فلم تنفع المنافقين معرفتهم بأن الله ربهم وخالقهم شيئا، قال تعالى: ٌ **يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخبم به تج تح تخ تم ته ثم**ٍّ[133] ومن جعل بينه و بين الله وسائط يدعوهم و يتوكل عليهم و يسألهم الشفاعة فهو كافر بالله ولو علم أن الله تعالى ربه وخالقه، وكفار مكة كانوا يعلمون أن الله تعالى ربهم وخالقهم ومع ذلك كفّرهم الله تعالى لما عبدوا الأوثان؛ قال الله تعالى: ٌ **ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخبم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حمخج خم سج سح سخ**ٍّ[134] فسمى الله تعالى عبادتهم للأوثان شركا مع إقرارهم لله وحده بالربوبية.

-والواحدة من تلك العقائد الفاسدة كافية أن تخرج صاحبها من الملة وأن تخلده في النار -إن مات عليها -؛ذلك أن الشرك في عبادة الله تعالى هو الذنب الوحيد الذي لا يغفره الله عز وجل إن مات صاحبه قبل التوبة منه؛ قال تعالى: ٌ **يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخبم به تج تح تخ تم ته ثم** ًّ[١٣٥] ولذا يجد المسلم عظمة التوحيد وهيبة جنابه في نصوص الكتاب والسنة؛ فهو أول المأمورات كما أن الشرك هو أول المنهيات، ولقد جمع الحق سبحانه بين الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك في سياق واحد ليعلمنا الحق سبحانه عظم شأن التوحيد وخطورة الشرك به سبحانه، فقال تعالى: ٱ **لي ما مم نر نز نمنن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بمبه تج تح تخ تم ته ثم جح جم** ًّ[١٣٦] ومما يدل على عظم شأن التوحيد أيضا أن الله تعالى جعله شرطا في صحة العبادة والعمل قال تعالى: ٌّ **نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يميه ئم ئه بم به تم ته ثم ثه سم سه شم شه كل كم** ًّ[١٣٧]وبالمقابل فإن الشرك سببٌ لإحباط العمل والعبادة وعدم قبولها، قال تعالى في الحديث القدسي **((أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ مَن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركتُه وشِرْكَه))**[١٣٨] و التوحيد هو السبب الوحيد لتكفير الذنوب كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله -فيما يرويه عن ربه-: **((يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا - لأتيتك بقرابها مغفرة))**[١٣٩]قال ابن رجب: "مَن جاء مع التوحيد بقراب الأرض - وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها - خطايا، لقيه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله؛ فإن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنوبه، ثم كان عاقبته ألاَّ يخلد في النار، بل يخرج منها ثم يدخل الجنة.... فإن كمّل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه وقام بشروطه كلها، بقلبه ولسانه وجوارحه أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلية" [١٤٠]والتوحيد كذلك شرطٌ في دخول الجنة والنجاة من الخلود في النار، دل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: **((مَن مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومَن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار))** [١٤١]كل ذلك التعظيم للتوحيد لأنه حق الله تعالى وحده فلا يُصرف لغيره سبحانه بحال من الأحوال؛ لأنه سبحانه هو المستحق للعبادة دون سواه، يُصدِقُ ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: **((يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حقُّ العباد على الله؟))**، قال: قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال:**((فإنَّ حقَّ الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا))**[١٤٢] كل تلك النصوص دالة وبوضوح على عظمة توحيد العبادة وأنه المعني في نصوص الكتاب والسنة، ولا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من الأمر بالتوحيد أو النهي عن ضده وهو الشرك، ويكفي الفطين علمه أن التوحيد سبب للخلود في الجنة ليعضّ عليه بالنواجذ، وأن الشرك سبب للخلود في النار ليحذره، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " و لما كان توحيد الألوهية

هو مناط الإيمان بالله ورسله كان لابد أن يعنى القرآن بتقريره والبرهنة عليه بالأدلة العقلية والبراهين الصحيحة؛ لأن الشرك الذي وقع عليه جميع الأمم هو هذا النوع، فإن عامة مشركي الأمم كانوا مقرين بالصانع ولكنهم مع إقرارهم بربوبيته قد أشركوا بعبادته غيره "[١٤٣]

وعليه فإن توحيد الربوبية لا يكفي صاحبه لتحقيق الإيمان الصحيح كما يدعي المتكلمون؛ فمعرفة العبد بأن الله تعالى ربه وخالقه لا تمنع العبد من جميع أصناف الكفر، ولا تقيه من الخلود في النار إن جاء بشئ من نواقض الإسلام المخرجة من الملة ومات عليه، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: " فإن المعرفة بوجود الله جل وعلا لا تكفي العبد، بل ولا حتى إيمانه بأن الله هو الرب الخالق حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم" [١٤٤]ويقول ابن القيم رحمه الله: "توحيد الألوهية هو المنجي من الشرك دون توحيد الربوبية بمجرده؛ فإن عباد الأصنام كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه ولكن لما لم يأتوا بتوحيد الألوهية وهو عبادته وحده لا شريك له لم ينفعهم توحيد ربوبيته" [١٤٥]

– وكلمة التوحيد(لا إله إلا الله) جامعةٌ لأنواع التوحيد الثلاثة –توحيد الربوبية وتوحيد العبادة وتوحيد الأسماء والصفات– ولابد للعبد من تحقيق الأنواع الثلاثة كلها؛ فلا يكفي العبد الإقرار بتوحيد الربوبية وحده، كما لا يكفيه الإقرار بتوحيد الأسماء و الصفات وحده، ولا الإقرار بتوحيد العبادة وحده إذا جاء بما يخل إيمانه في واحد من الأنواع الثلاثة ؛كمن يعتقد أن هناك من يخلق ويرزق غير الله تعالى أو يدبر الأمر معه، فهذا خلل في توحيد الربوبية، وكمن يعتقد أن شيئا من صفات الله عز وجل تشبه صفات المخلوق، لأن الله تعالى أخبر عن نفسه في كتابه بقوله: ٌ **ني هج همهى هي يج يح**َّ[١٤٦] فمن اعتقد أن غير الله مثل الله في شيء من صفاته فقد أخل بتوحيد الصفات، ومن صرف شيئا من عبادته لغير الله تعالى فقد أخل بتوحيد العبادة، ومن اعتقد أن هناك من يستحق العبادة غير الله فقد أخل بتوحيد العبادة ولو عبد الله تعالى وحده.

–وتوحيد العبادة يلزم منه توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ فمن أقر بحق الله وحده في العبادة لزمه الإيمان بتفرد ذلك المعبود بالربوبية وتفرده بأسمائه وصفاته على الوجه اللائق بعظمته وجلاله؛ لأنه لا يتم الإيمان الصحيح الذي به سعادة الدنيا والآخرة إلا بأنواع التوحيد الثلاثة مجتمعة؛ يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله :" من كان هو الخلاق الرزاق والمالك لكل شيء فهو المستحق لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، وهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا شريك له، ولا شبيه له، ولا تدركه الأبصار وهو السميع العليم، ومن أتقن أنواع التوحيد الثلاثة، وحفظها واستقام على معناها، علم أن الله هو الواحد حقا، وأنه هو المستحق للعبادة دون جميع خلقه، ومن ضيع واحدا منها أضاع الجميع

فهي متلازمة، لا إسلام إلا بها جميعا " [147]يقول السلمان في الكواشف الجلية :" لا يكمل لأحدٍ توحيدُه إلاَّ باجتماع أنواع التوحيدِ الثلاثةِ وهي: توحيدُ الربوبيةِ، والأسماءِ والصفاتِ، والألوهيةِ، فلا ينفعُ توحيدُ الربوبيةِ بدونِ توحيدِ الألوهيةِ، ولا يقومُ توحيدُ الألوهيةِ بدونِ توحيدِ الربوبيةِ، ولاَ يَسْتَقيمُ تَوحيدُ الله في رُبُوبيتِهِ وأُلُوهِيَتِهِ بِدُونِ توحيدِه في أسمائِه وصفاته" [١٤٨]

وعليه فإن التوحيد الذي نزل به الوحي على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يتضمن الإيمان الجازم بتوحيد الله تعالى وتفرده في ربوبيته وفي أسمائه وصفاته وفي استحقاقه العبادة دون سواه، وبذلك تبطل دعوى المتكلمين في قصرهم التوحيد على توحيد الربوبية وبعض الصفات التي تعتقدها كل فرقة منهم، وبالتالي يبطل معنى التوحيد عندهم وتبطل تفسيراتهم لمعاني الوحدانية ولكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وتبطل بذلك استدلالاتهم بالحديث النبوي على ما ذهبوا إليه من عقائد في هذا الباب واعتبروها دينا يدينون الله تعالى بها.

---

[١] -سورة الأحزاب :آية رقم (٣٦)
[٢] - سورة النســـــاء :آية رقم (٦٥)
[٣] - سورة الشورى: آية رقم (١١)
[٤] -سورة الأحزاب:آية رقم (٢٣)
[٥] - تفســــــير الطبري (٢٣٩/٢٠)
[٦] _ الفرق بين الفرق (١٨)
[٧] _ مجموع الفــتاوى (٢/٥)
[٨] _ المواقف في علم الكلام (٧)
[٩] _ انظر: الملل والنحل (٢٩)
[١٠] _ المحصول (١٢٤).
[١١] _ انظر: أساي التقديس (١٢٨).
[١٢] _ أم البراهين (٢٩٢).
[١٣] - سورة الشورى :آية رقم (١١)
[١٤]- رواه مسلم في صحيحه: كتاب صفة القيامة والجنة (١٢٤٧/٤)
[١٥] -سورة التوبة: آية رقم (١٠٠)
[١٦] - انظر: تفسير الطبري (٤٣٤/١٤).
[١٧] -سورة النساء: آية رقم (٨٢)
[١٨] سورة النور :آية رقم (٦٣)
[١٩] - تفسير الطبري (٢٣١/١٩)
[٢٠] - انظر الإنصاف(٣٠)الإرشاد (٥٣),نهاية الإقدام (٩١-٩٣), المواقف (٢٧٨-٢٧٩),شرح العقائد النسفية (٩٣-٩٥),شرح الأصول الخمسة (٢٨٥-٢٨٦), اللمع للأشعري (٨)
[٢١]- التمهيد لأبي المعين النسفي (٦)
[٢٢] - سورة الأنبياء: الآية رقم (٢٢)

[٢٣] - انظر: تمهيد الأوائل (٤٥)واستدل بدليل التمانع أيضا الأشعري في (اللمع) والباقلاني في (التمهيد) والجويني في (الإرشاد

[٢٤] -ا تفسير الطبري: (١٧/١٣)

٢٥ - زاد المسير: (٢٣٨/٥)

[٢٦] -سورة المؤمنون (٩١)

[٢٧] -تفسير الطبري (٤٢٥/١٨)

[٢٨] -سورة يس: آية رقم (٤٠)

[٢٩] -التدمرية (١٠٨)

[٣٠] -سورة الأنعام: آية رقم (١٠١)

[٣١] - سورة الإسراء: آية رقم (٤٤)

[٣٢] - الفتاوى الكبرى :(٤٨/٢-٥١)

[٣٣] -الملل والنحل (٤٠/١)

[٣٤] - الأعلام (٢٦٩/١), البد الطالع (١٢٢/١)

[35]- المنية والأمل في الملل والنحل (٥٦)

[٣٦] - انظر :مجرد مقالات الأشعري (٥٥)، رسالة الحرة للباقلاني (٣٣ -٤٣),الاعتقاد للبيهقي (٦),شرح أسماء الله الحسنى للقشيري: (٢١٥), الشامل (٣٤٥-٣٤٨)، إحياء علوم الدين (٣٣/١) الإرشاد(٥٢),لمع الأدلة (٨٦)، الاقتصاد في الاعتقاد(٤٩),نهاية الإقدام (٩٠)

[٣٧] - انظر: تحفة المريد شرح كتاب التوحيد (٥٩-٦٠)

[٣٨] - أصول الدين للبغدادي (١٢٣),الملل والنحل للشهرستاني (١٠٠/١)

[٣٩] - التوحيد (٢١-٢٢)

[٤٠]- سورة الشورى: آية رقم (١١)

[٤١]- التوحيد (٢١-٢٢)

[٤٢] - سورة الشورى: آية رقم (١١)

[٤٣] - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١٨٧)

[٤٤]- تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/٩)

[٤٥] -سورة التوبة: آية رقم (١٢٨)

[٤٦]- سورة الذريات: آية رقم (٥٦)

[٤٧] - رواه البخاري في صحيحه، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم (١١٤/٩)ح(٧٣٧٢)

[٤٨] - الاعتقاد (٦٣)

[٤٩]- شرح العقائد النسفية (٢٧)

[٥٠] - رواه النسائي في السنن الكبرى, باب العزيز الغفار(١٣٥/٧)ح(٧٦٤١)وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٩٣)

[٥١] - المنهاج (١٨٩/١)

[٥٢] - الملل والنحل للشهرستاني: (١٠٠/١)، أصول الدين للبغدادي (١٢٣), مجرد مقالات الاشعري (٤٧)

[٥٣]- أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي صاحب التصانيف(ت٣٨٨هـ)ومن أهم مؤلفاته (أعلام الحديث),(شأن الدعاء)(غلط المحدثين)انظر: سير أعلام النبلاء(٢٣/١٧) وفيات الأعيان (٢١٦/٢) تذكرة الحفظ(٣/ ١٠١٩)

[٥٤]-رواه البخاري في صحيحه, باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة) :(١٤/١)ح (٢٥)

[٥٥] - الأسماء والصفات(١٤٢)

[٥٦]- هو الحسين بن حسن بن حليم البخاري الحليمي من أئمة المتكلمين الأشاعرة (ت٤٣٠هـ) ومن أهم مؤلفاته (المنهاج في شعب الإيمان، انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣١/١٧)وطبقات الشافعية(٣٣٣/٤)

[٥٧] -المنهاج في شعب الإيمان (١٨٦/١)
[٥٨] -رواه مسلم في صحيحه, باب بيان الإيمان بالله وشرائع الدين(٤١/١)ح(١٢)
[٥٩] - المنهاج (١٩٠/١)
[٦٠] - التسعينية (١٨٠-١٨١)
[٦١] - سورة الأنبياء: آية رقم (٢٥)
[٦٢] القصيدة النونية –شرح الهراس -٢-٥٥/شرح العقيدة الطحاوية (٤٢/١)/ فتح المجيد (٢٥) معارج القبول (٩٦/١-٩٧)
[٦٣] - العقيدة الواسطية (١٦٥)
٦٤ -رواه مسلم في صحيحه, باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (٥١/١)ح(٢٠)
٦٥-انظر: درء التعارض(١٢٢/٧)
[٦٦] -الاعتقاد(٦٣)
[٦٧] - العقائد النسفية(٢٧)
[٦٨] - الجوهر: جوهر الشيء حقيقته وذاته، وهو ما قام بنفسه, واحدته جوهرة، المعجم الوسيط ،(١٤٩/١)والجوهر عند المتكلمين: الموجود القائم بنفسه المتحيّز بالذات، ومعنى قيامه بنفسه هو أنه يصحّ وجوده في غير محلّ يقوم به., انظر: النكت الاعتقادية (٣٨٤), التحقيق التام في علم الكلام (٤٣), قواعد العقائد (٤٣٩), كشف المراد(١٠٠),بداية الحكمة (٩١) والعرض في اللغة: ما لا ثبات له وهو ما ليس بلازم للشيء وجمعه أعراض, أو هو: ما لا يمتنع انفكاكه عن الشيء، التعريفات للجرجاني (١٥٣-١٥٤) والعرض في اصطلاح المتكلمين: ما لا يقوم بنفسه، ولا يوجد إلا في محل يقوم به / المصباح المنير للفيومي (٢٠٩)
[٦٩] - المنهاج (١٨٩/١)
[٧٠] - الملل والنحل للشهرستاني (١٠٠/١)، أصول الدين للبغدادي (١٢٣), مجرد مقالات الأشعري (٤٧)
[٧١] -الأسماء والصفات (١٤٢)
[٧٢] - المنهاج (١٨٦/١)
[٧٣] -المصدر السابق(١٨٦/١)
[٧٤] - المنهاج (١٩٠/١)
[٧٥] -الملل والنحل (١ /٣٧) أم البراهين للسنوسي(١٠٤) وانظر :المطالب العالية(١٦٣/٣) شرح الطحاوية للغنيمي(٤٧-٤٨))
[٧٦] - رواه ابن ماجة في سننه :باب السواد الأعظم (١٣٠٣/٢)ح(٣٩٥٠) والحديث حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣١٩/٣)
[٧٧] - انظر: التدمرية (١٨٤), تفسير سورة الإخلاص مجموع الفتاوى (٤٤٩/١٧-٤٥٠)
[٧٨] - التسعينية (٢٠٣-٢٠٤)
[٧٩] - أساس التقديس (١٧)
[٨٠] -سورة البقرة: آية رقم (٦١)
[٨١] -سورة يوسف: آية رقم (٦٧)
[٨٢] -سورة الرعد: آية رقم (٤)
[٨٣] - صحيح البخاري :باب لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته(١٦٤/٣)ح(٢٦٢٣)
[٨٤] - صحيح البخاري / باب صفة الجنة (١١٨/٤)ح(٣٢٤٥)
[٨٥] - بيان تلبيس الجهمية (٤٨٢/١-٤٨٣) وانظر: درء التعارض (١١٤/١) والتسعينية(٢٠٣/٥)
[٨٦]- نقض التأسيس (٤٨٧/١)
[٨٧] - سورة الشورى: آية رقم (١١)
[٨٨] -الفتاوى(٧٩/٣-١٠١)
[٨٩] - التسعينية (٢٠٤)
[٩٠] انظر: نقض التأسيس(٤٦٥/١)

[٩١] - مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٥/٣)
[٩٢] - مجموع الفتاوى (١٣٤/٨)
[٩٣] -مجموع الفتاوى (٣٥/٣-٣٦)
[٩٤] -القواعد المثلي في صفات الله وأسمائه الحسنى (٢٣)
[٩٥] - سورة الكهف: آية رقم (٤٩)
[٩٦] - سورة الفرقان: آية رقم (٥٨
[٩٧] -سورة فاطر :آية رقم)٤٤)
[٩٨] - انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لللآلكائي(٦/٩).شرح الطحاوية, باب النفي المفصل في صفات الله (٥/٢)
[٩٩] - انظر: درء التعارض (٣٧٧/٩)
[١٠٠] - الملل والنحل للشهرستاني (١٠٠/١) أصول الدين للبغدادي(١٢٣)مجرد مقالات الاشعري(٤٧)
[١٠١] - الملل والنحل للشهرستاني(١٠٠/١)، أصول الدين للبغدادي (١٢٣), مجرد مقالات الاشعري (٤٧)
[١٠٢] - انظر: لسان العرب (٤٦٧/١٣)
[١٠٣] - معجم مقاييس اللغة (١٢٧/١)
[١٠٤] - تفسير أسماء الله الحسنى (ص٢٦)
[١٠٥] - بصائر ذوي التمييز (١٤/٢)
[١٠٦] - تفسير ابن جرير (٥٤/١.)
[١٠٧] -سورة هود: آية رقم (١٠١)
[١٠٨] - مجموع الفتاوى (٣٦٥/١)
[١٠٩] - قرة عيون الموحدين (ص٢٥)
[١١٠] - شرح العقيدة الواسطية لصالح آل الشيخ: (١١/١)
[١١١] - شرح الوصية الكبرى لابن تيمية –الراجحي ١٢/١
[١١٢] -سورة يونس: آية رقم (١٨)
[١١٣] -سورة الشعراء :آية رقن (٦٩-٧١)
[١١٤] -سورة التوبة: آية رقم (٣١)
[١١٥] - أخرجه الطبراني في الكبير (٩٢/١٧) ح (٢١٨) والبيهقي في السنن الكبرى باب ترك الحكم بتقليد أمثاله من أهل العلم (٢٠٩/١)
[١١٦] - رواه مسلم في صحيحه, باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٧)ح(١٨٣)
[١١٧] - تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص٥٣)
[١١٨] - فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد (١٢١/١)
[١١٩] - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك, باب لا التي لنفي الجنس (٢٣)
[١٢٠] - التطبيق النحوي (١٧٠/١)
[١٢١] - انظر: فتاوى الجامع الكبير للشيخ عبد العزيز بن باز(إعراب لا إلاه إلا الله)
[١٢٢] -سورة الذاريات :آية رقم (٥٦)
[١٢٣] -رواه البخاري في صحيحه: باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (١١٩/٢)ح(١٤٥٨)
١٢٤ - تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد (١٢-٢٠)
١٢٥ -سورة الصافات: رقم الآية (٣٥)
١٢٦- سورة الأعراف: رقم الآية (٧٠)
١٢٧ - رواه البخاري في صحيحه، ح ٤٣٨٩، كتاب تفسير القرآن، باب: قوله: (وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ)
١٢٨ - سورة العنكبوت: آية رقم (٦١)
١٢٩ - جامع البيان في تفسير القرآن(٥٨/٢٠-٥٩)

١٣٠ - سورة يوسف :آية رقم (١٠٦)
١٣١ - جامع البيان في تفسير القرآن (٢٨٧/١٦)
١٣٢ -سورة النساء: آية رقم (١٤٢-١٤٣)
١٣٣ - سورة النساء: آية رقم (٤٨)
١٣٤ - سورة يونس: آية رقم (١٨)
١٣٥ - سورة النساء: آية رقم (٤٨)
١٣٦ - سورة النساء :آية رقم :(٣٦)
١٣٧ - سورة الكهف: آية رقم (١١٠)
١٣٨ - رواه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق' باب: من أشرك في عمله غير الله (٢٢٩٨/٤)ح(٢٩٨٥)
١٣٩ - حسن: رواه الترمذي في السنن، باب فضل التوبة والاستغفار(٤٤٠/٥) ح (٣٥٤٠) والحديث حسَّنه الألباني في "صحيح الجامع" (٤٣٣٨)
١٤٠ - جامع العلوم والحكم": (٤٨٣)
١٤١ - رواه مسلم في صحيحه: مَن مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة(٩٤/١)ح(٤٠)
١٤٢- رواه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تعالى(١١٤/٩)ح(٧٣٧٣)
١٤٣ - منهاج السنة النبوية (٦٢/٢)
١٤٤ - درء التعارض(٨/١١-١٢)
١٤٥ - عدة الصابرين (٣٥)
١٤٦ -سورة الشورى: آية رقم (١١)
147 -مجموع فتاوى الشيخ بن باز(٣٨/١-٣٩)
١٤٨ - الكواشف الجلية عن معاني الواسطية(٤٢٢)

Responding to the Theologists in Clarifying the Meaning of Monotheism: A Study in Doctrine in the Light of the Holy Qur'an and Sunnah

Noura Mohammad Mushabab Al-Shahrany

PhD Researcher in Theology and Advocacy, Department of Sharia and Islamic Studies, College of Arts and Humanities, King Abdulaziz University in Jeddah

Email: dnor6666@hotmail.com

ABSTRACT

The present research aimed to investigate the meaning of monotheism among the speakers and criticize that meaning. The

research consisted of a general framework that included an introduction to the problem of the research, the significance of the research and the reasons for choosing such topic. The research presented a review of previous studies, methodology, in addition to two main issue. The first issue tackled the theologists making use of Hadiths from the Nine Books concerning the Oneness of God Almighty in his Godness (Presentation and Criticism). The research also presented the insights of the theologists concerning the meaning of monotheism and their interpretations of such meaning. The second issue addressed their criticism of such inferences and clarify the meaning of monotheism that the books came with and revealed by the revelation and the Prophet (Peace Be Upon Him) and mankind and Jinn were commanded by Allah (Glory be to Him) to follow. The research presented their evidence and criticized and respond to them in details.

Keywords: **Monotheism, Doctrine of Theologists, Sunnah and Gama'a Group, Nine Books, Science of Theology.**